

قال ابن فارس في فقه اللغة: باب القول على لغة العرب هل لها قياس وهل يشتق بعض الكلام من بعض أجمع أهل اللغة - إلا من شدّ منهم - أن للغة العرب قياساً وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض واسم الجن مشتق من الاجتنان وأن الجيم والنون تدلان أبداً على الستر تقول العرب للدرع: جنة وأجنه الليل وهذا جنين أي هو في بطن أمه. وعلى هذا سائر كلام العرب علم ذلك من علم وجهه من جهل. قال: وهذا مبني أيضاً على ما تقدم من أن اللغة توقيفان الذي وقفنا على أن الاجتنان: الستر هو الذي وقفنا على أن الجن مشتق من هو ليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه ولا أن نقيس قياساً يقسوهاً في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها. وقال ابن دحية في التنوير: الاشتقاق من أغرب كلام العرب وهو ثابت عن الله تعالى بنقل العدول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه أوتي جوامع الكلم وهي جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة فمن ذلك قوله فيما صح عنه: يقول الله: (أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي). وطريق معرفته تقليب تصاريف الكلمة حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ دلالة اطراد أو حروفاً غالباً كضرب فإنه دال على مطلق الضرب فقط أما ضارب ومضروب ويضرب واضرب فكلها أكثر دلالة وأكثر حروفاً وضرب الماضي مساوٍ حروفاً وأكثر دلالة وكلها مشتركة في (ض ر ب) وفي هيئة تركيبها وهذا هو الاشتقاق الأصغر المحتج به. وهذا مما ابتدعه الإمام أبو الفتح ابن جني وكان شيخه أبو علي الفارسي يأنس به يسيراً وليس معتمداً في اللغة ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب وإنما جعله أبو الفتح بيانا لقوة ساعده ورده المختلفات إلى قدر مشترك مع اعترافه وعلمه بأنه ليس هو موضوع تلك الصيغ وأن تراكيبها تفيد أجناساً من المعاني مغايرة للقدر المشترك بسبب إهمال العرب وعدم التفات المتقدمين إلى معانيه أن الحروف قليلة وأنواع المعاني المتفاهمة لا تكاد تتناهى فخصوا كل تركيب بنوع منها ليفيدوا بالتراكيب والهيئات أنواعاً كثيرة ولو اقتصرنا على تغاير المواد حتى لا يدلوا على معنى الإكرام والتعظيم إلا بما ليس فيه من حروف الإيلاّم والضرب لمنافاتها لهما لضاق الأمر جداً ولاحتاجوا إلى ألوف حروف لا يجدونها بل فرقوا بين معتق ومعتق بحركة واحدة حصل بها تمييز بين ضدين. هذا وما فعلوه أخصر وأنسب وأخفولسنا نقول: إن اللغة أيضاً اصطلاحية بل المراد بيان أنها وقعت بالحكمة كيف فرضت في اعتبار المادة دون هيئة التركيب من فساد اللغة ما بينت لكونها لا يكون بين التراكيب المتحدة المادة معنى مشترك بينها هو جنس لأنواع موضوعاتها ولكن التحيل على ذلك في جميع مواد التركيبات كطلب لعناء مغرب ولم تحمّل الأوضاع البشرية إلا على فهم قريبة غير غامضة على البديهة فلذلك إن الاشتقاقات البعيدة جداً لا يقبلها المحققون. وقالت طائفة من المتأخرين اللغويين: كل الكلم مشتقون نسب ذلك إلى سيبويه والزجاج. وقالت طائفة من النظار: الكلم كله أصل والقول الأوسط تخليط لا يعد قولاً لأنه لو كان كل منها فرعاً لآخر لدار أو تسلسل وكلاهما محال بل يلزم الدور عيناً لأنه يثبت لكل منها أنه فرع وبعض ما هو فرع لا بد أنه أصل ضرورة أن المشتق كله راجع إليه أيضاً. لا يقال: هو أصل وفرع بوجهين لأن الشرط اتحاد المعنى والمادة وهيئة التركيب مع أن كلا منها مفرع عن الآخر بذلك المعنى.